﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١﴾ [التغابن: 1]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الانتقالُ من ذكر أسباب الغفلة إلى ذكر موجبات التَّذكر واليقظة

لما ذُكر في آخر سورة (المنافقون) الحثُّ على الإنفاق وعدمُ الالتهاء بالأموال والأولاد عن ذكر الله تعالى، والمُسارعةُ إلى الإنفاقِ في سبيل الله تعالى قبل انتهاء الأجل، فكانت خاتمة السّورة تذكيرًا بأنَّ الله ﷻ هو صاحبُ الملك، وهو المُستحق للحمد لِما أولى عباده من العطاء العظيم، المتمثِّل في الأبناء والأموال؛ ناسبَ أن يكون مطلعُ سورة التّغابن حثًّا على التَّسبيح والتَّنزيه لله رب العالمين، الّذي له الملك الحقيقيُّ لِما في السّماوات والأرض، وهو المُستحقّ للحمد التّام؛ فيكون مطلع سورة التّغابن مُتضمِّنًا توجيه النّاس إلى مَن يستحق العبادةَ الحقّة، والتَّوجه إليه دون سائر خلقِه في العناية والرّعاية.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡمُلۡكُ﴾: (ملك) أصلٌ صحيح يدلُّ على قوّةٍ في الشّيء وصحّة[1]. والمُلْكُ: الحقُّ الدّائم لله، فلذلك قال: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: 26]، فالمُلْكُ: ضبطُ الشّيء المُتصرّف فيه بالحكم[2]، والمُلك: هو القهرُ والتّسلُّط على مَن تتأتَّى منه الطّاعة باستحقاقٍ وبغير استحقاقٍ.

والمعنى المحوريُّ: إمساكٌ أو امتِساكٌ بشدّة أو قوة مع شمول[3]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ملك).
(2) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (ملك).
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (ملك).

والمقصود بالملك في الآية الخلق الّذي خلقَه الله تعالى فملكَه، ولا موجودَ إلّا وهو مخلوقٌ لله تعالى.

2) ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾: نقيضُ الذَّمِّ؛ ويُقال: (حمدتُه على فعلِه)، ومنه: (المَحمَدة) خلافُ المَذمّة، وفي التّنزيل العزيز: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: 2]، وأمّا قول العرب: (بدأت بالحمدُ لله)؛ فإنّما هو على الحكاية؛ أي: بدأتُ بقول: الحمدُ لله رب العالمين[1]، وهو الثّناء على الله بالفضيلة[2]، والحمدُ المُرادُ في الآية: المحامدُ الحقّة كلُّها الواجبةُ له تعالى.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

التّسبيح عنوان الاعتراف الحقِّ بدليل الملك والقدرة واستحقاق الحمد

أخبرتِ الآية الكريمة بأنَّ كلَّ مَن في السّماوات ومَن في الأرض يُسبِّح الله تعالى اعترافًا بقدرته التّامّة وسيطرته على مخلوقاته، فله الملك وحدَه لا لغيره، وهو المحمود دَومًا، وهو القادر على كلِّ شيء، فالتّسبيح له ما يُعزِّزه من القدرة والهيمنة لله ﷻ، فذكرتِ الآيةُ تسبيح المخلوقات كلِّها لله تعالى، ثمّ علّلت ذلك بأنّه صاحبُ الملك، المستحقُّ للمحامد، القادر على كلّ شيء، فهذه الثّلاثة هي أركان مَن يستحقُّ التّسبيح والتّمجيد، ولا تكونُ إلّا لله تعالى.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

براعةُ الاستهلال:

دلالةُ التّسبيح عامّةٌ يدخل فيها كلُّ أنواعه وأقسامه

ابتدأتِ الآية الكريمة بعنوان التّسبيح في مطلع السّورة؛ لأنَّ اللّفظة ضمّت أنواع التّسبيح، فيشمل تسبيح الخِلقة؛ يعني: أنّك إذا نظرت إلى شيء دلّتك خِلقَتُه على وحدانيَّته تعالى، وتنزيهِه عمّا لا يليق به، وتسبيحَ المعرفة؛ بأن يخلق في كلِّ شيءٍ ما يُعرِّفه به تعالى ويُنزِّهه، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ

(1) ابن منظور، لسان العرب: (حمد).
(2) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (حمد).

﴿بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44]، وتسبيحَ الضّرورة، بأن يُجريَ اللّهُ التّسبيحَ على كل جوهر، من غير معرفةٍ له بذلك[1]، فجمع لفظ التّسبيح أحوال المخلوقات في اللّفظ الكريم ﴿يُسَبِّحُ﴾، وهذا من بديع المطلع، وبراعة الاستهلال للسّورة، المشتملة على ما يدلُّ على عباده الموحِّدين، مع ذكر أضدادِهم من الكافرين.

دلالةُ استعمال مفردة (التّسبيح):

الـثّـنـاءُ على المـؤمـنـين والـتّـعـريـضُ بالمشركين

جاء استعمال الفعل ﴿يُسَبِّحُ﴾ لإضفاء عددٍ من الدّلالات على الآية، فالتّسبيح يُشير إلى الذّات الإلهيّة؛ فهو لم يُطلَق في القرآن كلِّه إلّا مع الذّات الإلهيّة[2]، وهو ابتداء تقرير تنزيه اللّه تعالى وقوة سلطانه؛ ليزداد الّذين آمنوا إيمانًا، ويكون أمر التّنزيه لهم تعليمًا وامتنانًا، والتّعريض بالمُشركين بطريق الكناية، فهؤلاء لم يُنزِّهوه ولا وقَّروه فنسبوا إليه شركاء[3]، فكان التّسبيح تعريضًا بهم؛ فهم ليسوا أهلًا لهذا التّسبيح؛ فإن أعرضوا عن الذِّكر والشُّكر، فهناك مَن يواظب عليهما[4].

دلالةُ التّعبير بصيغة المضارع:

التّعبير بصيغة المضارع ﴿يُسَبِّحُ﴾ تنويهٌ بإقبال أهل السّماوات والأرض على تسبيح اللّه وتمجيده ما تعاقب الملَوان[5]، والثّناء عليهم بدوام ذلك منهم، والتّعريض بالغافلين.

معنى اللّام في ﴿لِلَّهِ﴾:

التّـسـبـيـح الحقيق باسمه ما كـان لله عزَّ اسمُه

اللّام في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ إمّا أن تكون بمعنى: التّقوية؛ أي: تقوية وصول الفعل إلى المفعول، والمعنى: سبَّحَه، وتحتمل أن

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 7/ 40.
(2) إبراهيم الهدهد وآخرون، موسوعة الفروق اللغوية واللمحات البلاغية في الذكر الحكيم: 4/ 145.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 28/ 260.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 551.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 261.

تكون لامَ التّعليل؛ أي: أنّ التّسبيح الحقيق بهذا الاسم هو الصّادر عن كلِّ مُسبِّح لأجل الله تعالى؛ أي: لوجهه خالصًا[1]، وبناءً عليه أفادت اللّام دلالة الاختصاص بمعونة السّياق، وذلك أنّ التّسبيح له وحدَه؛ إمعانًا في العظمة والوحدانيّة.

نكتة تعدية فعل التّسبيح باللّام لا بنفسِه:

شموليّة التّعدّي باللّام مع إحاطته للعاقل وغير العاقل

تعدّى فعلُ التّسبيح باللّام ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ لا بنفسِه (يُسبِّح اللهَ ما في السّماوات)؛ لعموم دلالة فعل التّسبيح الجاري على العقلاء وغيرهم، ولشُموله أوقاتَ التّسبيح كلَّها، أمّا المُتعدّي بنفسه فلا يُستعمل إلّا للعقلاء، وذلك إذا كان عاملًا في الضّمير، كقوله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح: 9]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب: 41 - 42][2].

نكتةُ تقديم شبه الجملة على المُسند إليه:

بيان مقصود السّياق والتّوجيه لغرض النّظم

قُدِّم شبه الجملة ﴿لِلَّهِ﴾ على المسند إليه ﴿مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ للعناية بمُستحِقِّ التّسبيح، وهو الله ﷻ[3]، فالتّقديم أفاد تخصيص التّسبيح لله وحده لا شريك له لا لغيره، وهذا موضع الاعتبار في الجملةِ؛ فإنَّ إيراد التّسبيح إنّما يُرادُ به بيان اختصاصه بالله تعالى وحده، مع ما فيه من ترقُّب النّفس وتشوُّقِها إلى ما سيرد من قولٍ بعد شبه الجملة، ففي التّقديم تشويقٌ لما في المسند إليه من دلالة.

نوع (ما) وفائدةُ تكرارها:

الإحاطةُ بكلِّ المُسبِّحين والعمومُ الدّالُّ على جميع المخلوقين

آثر النّظم الكريم استعمال أداة (ما) اسمًا موصولًا دون (الّذي)؛ للدّلالة على العموم، فيدخل فيها العاقل وغير العاقل، وهي أكثر عمومًا واستغراقًا من (الّذي)، وأفاد تكرارها في قوله تعالى:

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 10/ 100.
(2) فاضل السامرائي، على طريق التفسير البياني: 1/ 275.
(3) فاضل السامرائي، على طريق التفسير البياني: 1/ 278.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ التّوكيد اللّفظيّ[1]، وتمكين الحدث من النّفس، والاستيفاء والإحاطة بكلّ المُسبّحين، وبما أحاط به علمُه سبحانه[2]، والاختلاف والتّباين الموجودَين بين أهل السّماوات والأرض؛ كما أنَّ التّكرار دالٌّ على المُبالغة[3] في التّسبيح، فكان التّكرار هامسًا بكلِّ هذه المعاني والإيماضاتِ الجاذِبة.

فائدة تعريف لفظِ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ و﴿ٱلۡأَرۡضِۖ﴾:

كـــلُّ مـــا في الـسّـمـــاوات ومـا في الأرضِ مُـقِـرٌّ بـالإذعـانِ والاستسلام

(أل) في لفظ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ولفظ ﴿ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ عهديّة، فهي السّماوات والأرض المعهودة لدى المُخاطَبين عند الإطلاق، فلا يتبادرُ إلى الذِّهن سواهما، وإن لم يُحط المُخاطَبون بهما، لكنَّ المعنى معهودٌ عهدًا إجماليًّا، فيدخل في اللّفظِ كلُّ سماءٍ، عرفَها الإنسان أو لم يعرفها، وكذلك كلّ أرض، وحملُها على الجنس له وجهٌ من القبول؛ أي: جنس السّماوات وجنس الأرض، عن طريق الاستغراق الحقيقي بوضع كلمة (كل) موضع (أل)، وتنكيرِ ما بعدها[4]، فيصحُّ أن نقول: كلّ سماء وكلّ أرض؛ للإشارة إلى جلالة الإلهيّة وهيبة ما خلقَ؛ استعدادًا للإذعان والتّسليم، والإشارة إلى القدرة المُطلقة.

دلالة استعمال حرفِ الظّرفيّة:

الاعـــــتـرافُ بالكمالِ المُطلق صادرٌ عن جميع الخلق

استعمل النَّظم الكريم حرف الظّرفية لاستيفاء المظروفِ على الوجه الأكمل، حيث أدَّى دورًا كبيرًا في المعنى، فدلالة ﴿فِي﴾ تُعطي إحاطة شاملة بجميعِ المخلوقات في السّماوات والأرض، بما يعني: شمولَ القدرة الإلهية، وخضوع الخلق كلِّهم لتسبيحه والاعتراف بكماله المطلق سبحانه عن أيِّ نقص، فدلَّ حرف الظرفيّة على

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 260.
(2) الغرناطي، ملاك التأويل: 2/ 475.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 552.
(4) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 73.

الكمال المُطلق المُستغرق لكلِّ شيءٍ، من حيث إنَّ التّسبيح اعترافُ جميعِ المخلوقات بانتفاء النَّقص.

نكتة تقديم ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على ﴿ٱلۡأَرۡضِۖ﴾:

الملائكةُ سابقون في الوجود والتّسبيح

قُدِّم ذكرُ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ على ذكرِ ﴿ٱلۡأَرۡضِۖ﴾؛ لأنَّ أهل السّماوات عامَّتهم من الملائكة، وهم أسبَقُ في الوجود والتّسبيح من أهل الأرض، فإنّه لمّا أراد خلقَ آدم قالت الملائكة: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ [البقرة: 30]، وهم أدومُ تسبيحًا، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: 20][1]، مع ما في أمر السّماوات من عظيم الشّأن، وعُلوِّ المكانة.

نكتةُ جمع ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وإفرادِ ﴿ٱلۡأَرۡضِۖ﴾:

جمعُ الألفاظ يُلاحَظُ فيه البناء الصّوتيّ والملحظُ الدّلاليّ

آثر النَّظم الكريم في القرآن العظيم إفرادَ لفظِ ﴿ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ لخفّته اللّفظيّة، فالجمع ثقيل، وليس ذلك الثِّقل في لفظ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وقد ورد لفظ (الأرض) في القرآن ثلاثمائة وواحدًا وستين مرّةً بصيغة الإفراد[2]، ثمّ إنَّ لفظَ (الأرض) جارٍ مجرى المصدر، فهو بمنزلة السُّفل والتَّحت، فكما لا يُجمع السُّفل والتَّحت لا يُجمع ما جرى مجراهما، أمّا (السّماء) فهي وإن كان مثالها على المصادر كالعلاء؛ فهي أشبهُ بأبنية الأسماء[3]؛ لذا جُمعت ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ولم تُجمع ﴿ٱلۡأَرۡضِۖ﴾، ويُضاف إلى ذلك أنَّ إيثار جمع ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ لما هو المشهور من الإيذان بأنَّها أجرام مختلفة الطِّباع مُتباينة الآثار والأحكام[4].

بلاغةُ فنِّ الطِّباق:

الدّلالةُ على تنوُّعِ المسبِّحين

بين لفظَي: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ و﴿ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ طباقٌ، وفائدتُه: بيان القدرة

(1) فاضل السامرائي، على طريق التفسير البياني: 1/ 279.
(2) الأمين الخضري، الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ، ص: 81.
(3) السهيلي، نتائج الفكر في النحو بتصرف، ص: 157.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 6/ 62.

المُطلقة، فقد جمع بين النّقيضَين على غير مثالٍ سابق، ولما فيهما من باهر القدرة وعِظَم الملَكوت.

نكتةُ الفصلِ بين الجمل:

فُصِل قولُه تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ لأنّه استئنافٌ واقعٌ موقعَ التّعليل والتّسبُّب لمضمونِ قوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾، فإنَّ مُلابسة جميع الموجودات لدلائل تنزيه الله تعالى عن الشُّركاء وعن النَّقائص لا مُقتضى لها إلّا انفرادُه بتملُّكها وإيجادها وما فيها من الاحتياج إليه، وتصرُّفه فيها تصرُّفَ المالك المُتفرِّد في ملكه[1]؛ فكأنّه قيل: لأنّه مالك المخلوقات فهي تُسبِّح له.

تعليلُ أفعال العباد بكمال الملك لصاحبِ الجلال

وتحتمل الجملةُ أن تكون حاليّةً[2]، والمعنى: يُسبِّح لله ما في السّماوات وما في الأرض حال كون الملك كلِّه له وحدَه، وحال استحقاقه لجميع المحامد، وفي الحال معنى التَّعليل، فعلى التَّوجيهَين دلالةُ التَّعليل ظاهرةٌ، فبين الجملتين شبهُ كمال الاتصال.

نوع اللّام ودلالتُها:

اللّام الجارّة في قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ تحتملُ الاختصاص، وتحتملُ الملك، كقولك: (الدّارُ لزيد)، وفيها معنى القدرة والاستيلاء، كقولك: (البلدُ للسُّلطان)، وهذه المعاني تتّصل ولا تنفصل.

فائدةُ تقديم شبه الجملة على المُسند إليه:

كلُّ ملكٍ لغير الله فمجازيٌّ زائلٌ لفقدِه الاستحقاقَ الكاملَ

قُدِّم الجارُّ والمجرور على المُسند إليه في قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾ لغرضِ القصر الادِّعائيّ المبنيّ على عدم الاعتداد بما لغير الله من ملك؛ لنقصه وعدم خلوِّه عن الحاجة إلى غيره، بخلاف ملكه تعالى، فهو المَلِك المُطلق الدّاخل في سلطانه كلُّ ذي مُلكٍ[3]، ففي التّقديم معنى اختصاص الملك والحمد بالله ﷻ، وذلك

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 267.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 10/ 105.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 261.

لأنّ الملك على الحقيقة له؛ لأنّه مُبدِئُ كلّ شيء ومُبدِعُه، والقائم به، والمُهيمن عليه، وكذلك الحمدُ؛ لأنّ أصول النِّعم وفروعَها منه[1]، فالتّقديم أشدُّ وقعًا من التّأخير، وأفخَمُ شأنًا في الدّلالة على المعنى المنشود، مع ما يحمله من التّعريض بالكفّار وآلهتهم الّتي لا تملك شيئًا، وفي تقدُّم شبه الجملة على المبتدأ في الجملتين إلماحٌ إلى المُطابقة اللّفظيّة في تناسب الآي وتشاكُلِها.

علّةُ الإضمار بعد الإظهار:

مـالـكُ المـلـكِ مستحِقٌّ للحمدِ ظاهرًا وباطنًا

جاء قولُه تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾ على طريق الإضمار بعد الإظهار؛ لأنّه الأصل، وغرضُه الإيجاز الّذي هو فرعٌ عن أصل طلب الخفّة[2].

معنى تعريف لفظِ: ﴿ٱلۡمُلۡكُ﴾ و﴿ٱلۡحَمۡدُۖ﴾:

كـلُّ ملكٍ فلله على التَّحقيق، وكـلُّ حمدٍ فله في الذِّكر الأنيق

(أل) في قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾ جنسيّة استغراقيّة، فالمقصود جنس الملك والحمد، عن طريق الاستغراق الحقيقيّ بوضع لفظة (كلّ) موضعَ (أل)، وتنكيرِ ما بعدها[3]، فيدخل فيه كلّ ملك وكلّ حمد، والملمح هنا من دلالة الجنسيّة الاستغراقيّة الإشارةُ إلى السّيطرة التّامّة والهيمنة على كلّ ملك، واستحقاق كلّ حمد، وفيه إشارة إلى انفراده بصفة الجلال ونعوت الكمال[4]، مع كمال الحمد واستغراقِه.

الفرقُ بين المِلك والمُلْك:

المُـلـكُ ضبطُ الأشـيـاء مع التَّحكُّم التّامِّ فيها

دلَّت لفظة (المُلْك) على الحقِّ الدّائم لله، فلذلك قال: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: 26]، فالمُلْك ضبطُ الشّيء المُتصرَّف

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 545.
(2) تمام حسان، البيان في روائع القرآن: 1/ 137.
(3) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 73.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 19/ 253.

فيه بالحكم، و(المِلْكُ) كالجنسِ للمُلْكِ، فكلُّ مُلْكٍ مِلْكٌ، وليس كلُّ مِلْكٍ مُلْكًا، فبينهما عمومٌ وخصوصٌ، قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: 26][1].

نكتةُ إيثار كلمة ﴿ٱلْمُلْكُ﴾ دون مُرادفاتها:

ملك العباد فضلٌ مُؤقَّت من الله يُعطى ويُمنَعُ

آثر النَّظم الكريم استعمال كلمة ﴿ٱلْمُلْكُ﴾ دون مُرادفاتها نحو (المَلَكوت)؛ لأنَّ المَلَكوتَ هو ملك الله خاصّةً، ويدخل فيه ملكُه الظّاهرُ والباطنُ أو الخفيُّ، ممّا لا يطَّلع عليه أو يُحيط به أحدٌ، وأمّا ﴿ٱلْمُلْكُ﴾ فهو ملك الله تعالى الّذي قد يتفضَّل ببعضِه على عباده[2]، ليكون لهم ملكًا مُؤقّتًا ينتفعون به، وتجري عليه أحكامٌ معروفةٌ بين النّاس.

دلالةُ التّعبير بالجملة الاسميّة:

الثّبات والاستمراريّةُ مع كمالِ القدرة وتمامِ الهيمنة

دلّت الجملة الاسمية: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ على الدّوام والاستمرار مع الثّبات، وفي الثّبات قوّة وتمكُّن، فملكه ثابتٌ لا يُنازعُه فيه منازعٌ، ولا يُزلزلُه مُزلزلٌ، فدلَّ ذلك على كمال القدرة، ومطلق الحكم والهيمنة، مع كمال الحمد، فلا محمودَ بحقٍّ إلّا هو؛ فدلَّ على دوام المعطوفات: الملك والحمد.

دلالةُ واو العطف:

تعداد الأسباب الموجبة للتّنزيه لتأكيد الاعتقاد والتّعريض بالشّرك

ربطت الواو بين الجملتين في قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ إشارةً إلى علائمِ القدرة والعظمة، ودلّت جملة: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ﴾ على سبب تسبيح ما في السّماوات وما في الأرض؛ إذ التّسبيح من الحمد، لذا كان الحمد مختصًّا به وحده تعالى؛ فهو الموصوف بالجميل، وهو الحقيق بالحمد الجزيل والتّسبيح الجليل، فالعطف من باب تعداد الأسباب الموجبة للتّنزيه، بغرض تأكيد موضوع التّنزيه في خطاب العقلاء، وأنّه لا يكون إلّا لله وحدَه، مع التّعريض بالمشركين.

(1) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (ملك).

(2) إبراهيم الهدهد وآخرون، موسوعة الفروق اللغوية واللمحات البلاغية: 4/ 145.

مناسبةُ اقتران الحمد بالملك:

تـجـدُّدُ الحمد مُناسبٌ لثباتِ المُلك لله وحدَه وبقائِه

بعد ذكر المُلك وأنّه لله تعالى وحده ناسب ذكر الحمد بعد ذلك، لبيان ما يترتّب على الملك من استحقاق الحمد، ولـمّا كان لا إنعامَ إلّا من الله تعالى وجبَ القطعُ بأنّ أحدًا لا يستحقُّ الحمد إلّا الله تعالى[1]، ومن دلالات الحمد شموليّةُ الزّمن، فللحمد تعلُّقٌ بالماضي، وتعلُّقٌ بالمستقبل، أمّا تعلُّقه بالماضي فهو أنّه يقع شكرًا على النِّعم المُتقدّمة، وأمّا تعلُّقه بالمستقبل فهو أنّه من أسباب تجدُّد النِّعم[2]، فكان الحمدُ شاملًا لكلِّ زمان، ولـمّا كان المُلك مُستمرًّا له سبحانه دون سواه، ناسب الجمع بين استمرارِ الملك وتجدُّد الحمد.

نكتةُ بدء السّورة بالتّسبيح لا الحمد:

التّسبيح أصلُ الحمدِ، والحمدُ برهانُ المُسبِّح

بدأتِ السّورة الكريمة بالتّسبيح لا الحمد؛ لأنَّ التّحميد يدلّ على التّسبيح دلالة التّضمُّن، فإنّ التّسبيح يدلُّ على كونه مُبرّأً في ذاته وصفاته عن النّقائص والآفات، والتّحميد يدلُّ مع حصول تلك الصّفة على كونه مُحسنًا إلى الخلق مُنعمًا عليهم رحيمًا بهم، فالتّسبيح إشارةٌ إلى كونه تعالى تامًّا، والتّحميدُ يدلّ على كونه فوق التّمام، فكأنّ الحمد تتميمٌ للتّسبيح[3]، ولذلك ناسب البدء بالأصل، وذكر ما ينشأُ عنه بعده، ومن هنا يُقدَّم في الدّعاء ذكرُ التّسبيح على التّحميد، فيُقال: سبحان الله وبحمدِه.

فائدةُ الواو ودلالتُها في جملة الفاصلة:

تـأكـيـدُ المـلـكِ والحمد وبيانُ قصرهما بصفة القدرة المُطلقة

الواو في الجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ عطفت الجملة على الجملتين السابقتين: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾، وهي بمنزلة التّذييل لهما، والتّبيين لوجهِ معنى القصر في الجملتين: ﴿لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ﴾، والتّقدير: على كلِّ شيء هو صاحب الملك الحقِّ،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 1/ 193.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 1/ 195.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 1/ 194.

وهو المُختصُّ بالحمد الحقِّ[1]، فكان العطفُ بالقدرة مُبيِّنًا معانيَ الملك والحمد.

نكتةُ استعمال حرفِ الاستعلاء:

قـدرةُ اللـه ﷻ فوقَ كلِّ قدرة

دلَّ حرف الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ على صفة التَّمكُّن والاستيلاء والتَّصرُّف المُطلق، وهو ما يُناسبُ كون الملك والحمد له وحدَه.

دلالةُ استعمال أداة العموم ﴿كُلِّ﴾:

قدرةُ الله تعالى مُحيطةٌ إحاطةَ استعلاءٍ بجميع المخلوقات

دلّت لفظة العموم ﴿كُلِّ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ على الإحاطة والشّمول، وهي الّتي أقامت دلالات القدرة، فمن دونها يختلُّ النَّظم، فلا يُقال: (وهو على شيء قدير)، فقدرته تعالى مُستعليةٌ على المجموع المطلق من المخلوقات جميعِها، فلا يخرج شيءٌ عن أداة العموم.

دلالةُ الإضافة:

استغراقُ أفرادِ العمومات والأجناسِ

أُضيف لفظُ ﴿كُلِّ﴾ إلى لفظٍ نكرةٍ وهو ﴿شَيْءٍ﴾؛ لإفادة استغراق كلِّ فرد من أفراد الجنس[2]، و﴿كُلِّ﴾ من ألفاظِ العموم، والإضافة - زيادةً على ما سبق - تُفيد الاستقصاء الشّامل لكلِّ ما يصحّ أن يُطلق عليه شيءٌ، ففي ذلك القدرة المطلقة على معرفة كلِّ شيءٍ مهما كان، ففي الإضافة إحاطةٌ.

نكتةُ تقديم شبه الجملة على المُسند:

عمومُ قدرته ﷻ

قُدِّم شبه الجملة ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ على المسند ﴿قَدِيرٌ﴾ للاهتمام بمضمون شبه الجملة، الدّالِّ على الإحاطة والشُّمول، وهذا التَّقديم هو عادة القرآن في أكثرَ من ثلاثين موضعًا.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 261.
(2) ابن هشام، مغني اللبيب: 1/ 99.

نكتةُ تنكير لفظِ ﴿شَيۡءٖ﴾:

قدرةُ الله مطلقةٌ لا ينازعه فيها منازع

دلَّ تنكيرُ لفظ ﴿شَيۡءٖ﴾ على العموم للتّنبيه[1]؛ ليشملَ كلَّ مخلوق سواءٌ أكان عاقلًا أم غير عاقل، صغيرًا أم كبيرًا؛ بيانًا للقدرة المُطلقة، والهيمنة العظيمة المُتمثلة في لفظة: ﴿قَدِيرٞ﴾.

بلاغةُ التَّذييل في ذكر صيغةِ ﴿قَدِيرٞ﴾:

صيغةُ المبالغة (قدير) تأتي في سياق القدرة المُطلقة

جاء ذكرُ لفظ القدير في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ لبيانِ أنَّ المخلوقات الّتي تُسبِّح الله دالّة على صفة القدرة؛ فمَن يُشاهد المخلوقات يعلمُ أنَّ خالقَها قادر، وفي هذا التَّذييل وعدٌ للشّاكرين، ووعيدٌ وترهيبٌ للمُشركين[2]، وعزَّزت الصيغةُ ذلك، فالمُلاحظ أنَّ التَّنزيل إذا عمَّم القدرة أو أطلقَها لم يأتِ إلّا بصيغة المُبالغة، دون اسم الفاعل (قادر)؛ فإنَّ المقدرةَ على كلِّ شيء أو القدرة المُطلقة غير المُقيّدة تُنادي على صيغةِ المبالغة.

أمّا إذا جاء باسم الفاعل (قادر) فإنّه لا يُطلقُه ولا يُعمِّمه بل يُقيِّده بأمرٍ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةٗ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٧﴾ [الأنعام: 37]، وقوله: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ [الأنعام: 65][3].

توجيهُ ترتيب صفاتِ الملك فالحمد فالقدرة:

بيانُ الملك العظيمِ المُستَوجب للحمد المُقتَضي للقدرة

جاءت الكلمات المُتعلِّقة بصفات الله تعالى ذاتَ ترتيبٍ دلاليٍّ، فالله سبحانه له الملك، والملك يقتَضي السَّيطرة والهيمنة وترتيبَ أحوال العباد على أحسن الهيئات، وهذا يقتَضي الحمد والشُّكر على ما أسبغَ عليهم من نِعَمٍ، ثمَّ كان التَّتميمُ بذكر القدرة، فلا يفعل ذلك إلّا قادرٌ على الهيمنة في مصائر العباد وأحوالهم، فكيف

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 317.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 28/ 261.
(3) فاضل السامرائي، على طريق التفسير البياني: 1/ 331.

لا يُقدِّسُه جميعُ الأعيان؟ إذ له المُلكُ والملَكوت على سبيل الحصر والتّخصيص، لا مالكَ سواه، ولا مُتصرِّفَ فيه ولا مُستوليَ عليه إلّا هو، وله الحمدُ أيضًا؛ إذ لا مُستحقَّ للحمد بالاستحقاقِ إلّا هو، ولا مُفيضَ للنِّعم على الآفاقِ غيرُه، ولا مُقدِّرَ للأرزاق سواه، فهو قديرٌ لا تنتهي قدرتُه عند مقدورٍ[1]، فكان التَّرتيبُ على أحسنِ الوجوه.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الحمدُ والشُّكرُ:

الحمدُ أعمُّ؛ لأنّه يقع على الثّناء، وعلى التَّحميد، وعلى الشّكر والجزاء، والشُّكر مخصوصٌ بما يكون مكافأةً لمن أولاكَ معروفًا، فصار الحمدُ أثبتَ؛ لأنّه يزيدُ على الشّكر[2]، ويُقال: إنَّ الشُّكر أعمُّ من جهة أنواعه وأسبابه، وأخصُّ من جهة مُتعلّقاته فيه، والحمد أعمّ من جهة المُتعلّقات، وأخصّ من جهة الأسباب.

الحمدُ أعـمُّ من جهة مُتعلّقاتِه، والشُّكرُ أعمُّ من جهة أنواعِه

ومعنى هذا أنَّ الشّكر يكون بالقلب خضوعًا واستكانةً، وباللِّسان ثناءً واعترافًا، وبالجوارح طاعةً وانقيادًا؛ ومُتعلّقه النِّعمُ دون الأوصاف الذّاتيّة، فلا يُقال: شكَرْنا اللّه على حياته وسمعه وبصره وعلمه، وهو المحمودُ بها، كما هو محمودٌ على إحسانه وعدله، والشُّكر يكون على الإحسان والنِّعم. فكلُّ ما يتعلَّق به الشُّكر يتعلَّق به الحمدُ من غير عكسٍ، وكلُّ ما يقع به الحمد يقعُ به الشُّكر من غير عكسٍ، فإنَّ الشُّكر يقع بالجوارح، والحمدَ باللِّسان[3]، والحمدُ والشُّكرُ مُتقاربان، والحمدُ أعمُّهما؛ لأنَّك تحمدُ الإنسان على صفاته الذّاتيّة، وعلى عطائه، ولا تشكرُه على صفاته[4].

(1) الشيخ علوان، الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية: 2/ 418.
(2) النحاس، معاني القرآن: 1/ 57.
(3) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: 3/ 340.
(4) ابن منظور، لسان العرب: (حمد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والستون،
سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 62 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-640-02-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 62 : المجلد الثاني والستون، سورة المُنافِقُونَ من الآية 05 إلى سورة المُلك الآية 11.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-640-02-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5378070 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"